

### الشرح:

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأصلح لنا شأننا كله ، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين . أما بعد :

### يقول رحمه الله تعالى :

وَكَذَلِكَ مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: «الْمُؤْمِنُ؛ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ». يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ الصَّحِيحَ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى رِعَايَةِ الْأَمَانَةِ، وَيَنْهَاهُ عَنِ الْخِيَانَةِ، حَتَّى يَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ النَّاسُ، وَيَأْمَنُوا عَلَى أَنْفُسِ الْأَشْيَاءِ عِنْدَهُمْ، وَهِيَ: الدِّمَاءُ وَالْأَمْوَالُ.

فهذا الحديث ؛ حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «الْمُؤْمِنُ؛ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ» هذا من جملة الأحاديث التي ساقها رحمه الله تعالى لبيان حد الإيمان وتفسيره ، وأن الإيمان كما أنه يشمل العقائد بل يقوم عليها فإنه يشمل كذلك الأعمال ؛ أعمال القلوب وأعمال الجوارح ، ومن هذه الأعمال أن يكون المرء بسبب إيمانه لا يتعرض لأحد بأي أذى أو بأي نوع من أنواع الأذى فالناس يأمنونه ؛ يأمنونه لما يعلمون من حاله وصلاح أمره ، وما يرونه من ظاهر إيمانه أما باطن الإيمان الذي في القلب لا يطلع عليه لكن لما يرون فيه من أثر لهذا الإيمان ، وأثر لصلاح القلب فإنهم يأمنونه قال : «الْمُؤْمِنُ؛ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ» ( والمسلم من سلمه المسلمون من لسانه ويده ) وهذا يوضح لنا الفرق بين الإيمان والإسلام ، في الإيمان قال : آمنه الناس ، وفي الإسلام قال ( سلم الناس من لسانه ويده ) ولا شك أن المرء يكون بهذه الرتبة يأمنه الناس على دمائهم وأموالهم فإنه أعظم شأنًا ممن سلم الناس من لسانه ويده ، فالإيمان أمنٌ وطمأنينة ، الإيمان أمنٌ وطمأنينة ، ولهذا جاء أيضاً في الدعاء عند رؤية الهلال في أول الشهر ( اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ) فالإيمان أمنٌ والإسلام سلامة ، ونظيره تماماً في هذا الحديث قال «الْمُؤْمِنُ؛ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ» ( والمسلم من سلمه المسلمون من لسانه ويده ) الشاهد أن الحديث فيه دلالة على دخول الأعمال في مسمى الإيمان ، كما قال الشيخ رحمة الله عليه : ( يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ الصَّحِيحَ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى رِعَايَةِ الْأَمَانَةِ، وَيَنْهَاهُ عَنِ الْخِيَانَةِ، حَتَّى يَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ النَّاسُ، وَيَأْمَنُوا عَلَى أَنْفُسِ الْأَشْيَاءِ عِنْدَهُمْ، وَهِيَ: الدِّمَاءُ وَالْأَمْوَالُ )

### قال رحمه الله تعالى :

وَهَذِهِ النُّصُوصُ كُلُّهَا تُبَيِّنُ مَعْنَى الْإِيمَانِ وَحَقِيقَتَهُ، وَأَنَّهُ-كَمَا قَالَ الْحَسَنُ وَغَيْرُهُ-: «لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّمَنِّيِّ وَالتَّحَلِّيِّ، وَلَكِنَّهُ مَا وَقَرَّ فِي الْقُلُوبِ، وَصَدَّقَتْهُ الْأَعْمَالُ» فَالْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ تُصَدِّقُ الْإِيمَانَ، وَبِهَا يَتَحَقَّقُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التَّحَايَاتِ: ١١].

فَالْعَبْدُ إِذَا أَصَابَتْهُ الْمُصِيبَةُ؛ فَاَمَنَّ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ حَكِيمٌ رَحِيمٌ فِي تَقْدِيرِهَا، وَأَنَّهُ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِ عَبْدِهِ؛ هَدَى اللَّهُ

قَلْبُهُ هِدَايَةً خَاصَّةً لِلرِّضَا وَالصَّبْرِ وَالتَّسْلِيمِ وَالطَّمَأْنِينَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ [التوبة: ٩]، فَحَذَفَ الْمُتَعَلِّقُ؛ لِيَشْمَلَ هِدَايَتَهُمْ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَهِدَايَتَهُمْ لِتَرْكِ كُلِّ شَرٍّ؛ وَذَلِكَ بِسَبَبِ إِيْمَانِهِمْ.

فَالْأَعْمَالُ؛ مِنَ الْإِيْمَانِ مِنْ جِهَةٍ، وَمِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيْمَانِ وَلَوْازِمِهِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى. وَاللَّهُ الْمُؤَفَّقُ.

### الشرح:

قال رحمه الله تعالى: (وَهَذِهِ النُّصُوصُ كُلُّهَا تُبَيِّنُ مَعْنَى الْإِيْمَانِ وَحَقِيقَتَهُ)، الإشارة بقوله (وَهَذِهِ النُّصُوصُ) إلى جميع ما تقدم من بدء هذا الفصل إلى آخر حديث ساقه رحمه الله، فجميع هذه النصوص التي ساقها رحمه الله تعالى تبين معنى الإيمان وحقيقته، وأن الإيمان قولٌ واعتقادٌ وعملٌ، وأن الإيمان يشمل العقائد الباطنة التي تكون في القلب والأعمال الظاهرة التي تكون على اللسان والجوارح فهذا كله من الإيمان، فالإيمان شاملٌ لذلك كله، (وَأَنَّهُ-كَمَا قَالَ الْحَسَنُ) أي البصري (وغيره-: «لَيْسَ الْإِيْمَانُ بِالتَّمَنِّيِّ وَالتَّحَلِّيِّ» يعني ليس الإيمان مجرد أمني يتمناها الإنسان، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزِيهِ﴾ فالإيمان ليس بالتمني، ليس

الإيمان مجرد أمني يتمناها المرء وهو معطلٌ نفسه عن العمل، أتمنى أن أنجو من النار، أتمنى أن أدخل الجنة، أتمنى أن أكون في الفردوس الأعلى من الجنة، أتمنى أتمنى وهو معطلٌ نفسه عن العمل وعن الطاعة وعن الأخذ بالأسباب التي تكون بها النجاة ويكون بها الفوز برضا الله سبحانه وتعالى، فليس الإيمان بالتمني، ليس الإيمان مجرد أمني فقط يتمناها المرء، (وَالْتَحَلِّيِّ) أيضاً ليس الإيمان مجرد دعوى يدعيها المرء لنفسه كأن يدعي لنفسه أنه متمم للإيمان أو مكمل له أو أن قلبه قلبٌ طيب، أو صالح أو مستقيم وما إلى ذلك، ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، وإنما الإيمان قال: (وَلَكِنَّهُ مَا وَقَرَ فِي الْقُلُوبِ، وَصَدَّقْتُهُ الْأَعْمَالُ) هذا هو الإيمان؛ الإيمان أمرٌ يقر في قلب المؤمن، فيصلح به القلب ويزكو ويطيب، ويشمر صلاحاً في الجوارح، استقامتها على طاعة الله سبحانه وتعالى، كما في حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: [ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب] فإذا قرّر الإيمان في القلب ظهرت آثار ذلك على جوارح العبد، استقامة على طاعة الله سبحانه وتعالى، ولا يمكن أن تستقيم جوارح المرء ولا أن يستقيم لسانه إلا إذا استقام قلبه على طاعة الله بأن يقر فيه الإيمان الصادق الصحيح القويم، ولهذا قال رحمه الله: (وَلَكِنَّهُ مَا وَقَرَ فِي الْقُلُوبِ، وَصَدَّقْتُهُ الْأَعْمَالُ) وقوله رحمه الله: (وَصَدَّقْتُهُ الْأَعْمَالُ) فيه شاهد أن أعمال الجوارح تسمى تصديقاً، وأن التصديق كما أنه يكون بالقلب يكون بالجوارح، فالجوارح تصدق، الجوارح تصدق وتوصف بذلك مثلها للسان كما جاء في الحديث [ولساناً صادقاً] فالجوارح تصدق ما يكون في القلب، من خير أو شر، إن قرّر في القلب الإيمان الصادق بالله سبحانه وتعالى صدقت الجوارح هذا الإيمان بالعمل بطاعة الله والبعد عما حرم سبحانه وتعالى، وإن قرّر في القلب -والعياذ بالله- الفجور والفسق صدقت الجوارح ذلك، مثل ما قال عليه الصلاة والسلام: [كتب على ابن آدم حظه من الزنئ وهو مدرك ذلك لا محاله، فالعين تزني وزناها النظر، والأذن تزني وزناها السمع، واليد تزني وزناها اللمس] إلى أن قال [والفرج يصدق ذلك أو يكذبه] فسمى عمل الجوارح تصديقاً لما في القلب، فإذا كان الذي في القلب فسوق والعياذ بالله وفجور فالجوارح تصدق ذلك، ما الذي يجعل الفرغ والعياذ بالله يقع في الزنا إلا مرض في القلب، ما الذي يجعل فرج الإنسان يقع في الفاحشة الزنا الذي حرمه الله إلا مرض في القلب، مرض في قلبه أورثه وقوعاً في تلك الفاحشة، لكن لو كان الذي في القلب هو تقوى الله سبحانه وتعالى لكن من بحضرته أجمل النساء ولو كان في مكاناً خالياً لا يراه أحد فإن تقواه الله

سبحانه وتعالى تمنعه من ذلك ، وتحول بينه وبين الوقوع في ذلك ، فما يقع في الجوارح من أعمال هي أثر من آثار ما قام في القلب ، فإن كان الذي قام وقرّ في القلب الإيمان والتقوى لله سبحانه وتعالى فإن الجوارح تطيب وتصلح وتستقيم ، وإن كان الذي قرّ في القلب هو الفجور والفسق فإن ذلك أيضاً يظهر على الجوارح فسقاً وفجوراً ، وإذا كان الذي قرّ في القلب أيضاً الكفر والزندقة والإلحاد فمثله كذلك يكون في شأن الجوارح ، فالشاهد أن الإيمان حقيقته أنه يقر في قلب المؤمن وتظهر آثاره على الجوارح تصديقاً لهذا الذي في القلب ، قال : (وَلَكِنَّهُ مَا وَقَرَ فِي الْقُلُوبِ، وَصَدَّقَتْهُ الْأَعْمَالُ) .

قال : (فَالْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ) الظاهرة : أي ما يكون من العبد من صلاة وصيام وحج ، وصدقات وغير ذلك ، والباطنة : أي أعمال القلب من الحياء والخشية والرجاء والخوف والتوكل والإنابة إلى غير ذلك ، (فَالْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ تُصَدِّقُ الْإِيمَانَ، وَبِهَا يَتَحَقَّقُ)، بمعنى أنه كلما ازداد المرء من هذه الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة كلما كان ذلك أعظم لتحقيق إيمانه وتتميمه ، (كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾)

أي أن الإيمان بالله سبحانه وتعالى الصادق المتمكن من القلب سبب لهداية القلوب إلى الأعمال الفاضلة ، والاستقامة على ذلك ، ومن ذلكم الصبر عند المصيبة ، ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ قال علقمة رحمه الله تعالى : هو المؤمن تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويُسَلِّم .

الرضا والتسليم عند المصيبة ثمرة من ثمار الإيمان ، قال : ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾

أي يهديه عند المصيبة إلى الرضا والتسليم والصبر والبعد عن الجزع والتسخط ونحو ذلك ، قال : (فَالْعَبْدُ إِذَا أَصَابَتْهُ الْمُصِيبَةُ؛ فَأَمِنْ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ حَكِيمٌ رَحِيمٌ فِي تَقْدِيرِهَا، وَأَنَّهُ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِ عَبْدِهِ؛ هَدَى اللَّهُ قَلْبَهُ هِدَايَةً خَاصَّةً لِلرِّضَا وَالصَّبْرِ وَالتَّسْلِيمِ وَالطَّمَأْنِينَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾)

بإيمانهم : أي بسبب إيمانهم ، (يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ) إلى ماذا ؟ ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ أي بسبب إيمانهم ، إلى ماذا

يهديهم ؟ قال الشيخ رحمه الله : (فَحَذَفَ الْمُتَعَلِّقَ) والقاعدة أن حذف المتعلق يفيد العموم ، فقلوه : ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ

بِإِيمَانِهِمْ﴾ أي لكل خير وفلاح وسعادة ورفعة في الدنيا والآخرة ، فحذف المتعلق يفيد العموم ، قال : (فَحَذَفَ

الْمُتَعَلِّقَ؛ لِيَشْمَلَ هِدَايَتَهُمْ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَهِدَايَتَهُمْ لِتَرْكِ كُلِّ شَرٍّ؛ وَذَلِكَ بِسَبَبِ إِيْمَانِهِمْ). قوله : (وَذَلِكَ بِسَبَبِ إِيْمَانِهِمْ).

أخذاً من قوله جل وعلا : ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ أي بسبب إيمانهم .

قال رحمه الله : (فَالْأَعْمَالُ؛ مِنَ الْإِيمَانِ مِنْ جِهَةٍ) الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة من الإيمان من جهة ؛ من جهة أن الإيمان بعموم إطلاقه يشمل ذلك ، الإيمان قول وعمل واعتقاد ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : [ الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من شعب الإيمان ] فالإيمان يشمل هذا كله ، إذن الأعمال داخله في الإيمان من جهة ومن ثمرات الإيمان ولوازمه من جهة أخرى ، أي من جهة أن أصل الإيمان هو ما قرّ في القلب من إيمان بالله وإيمان بكل ما أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالإيمان به ،

وأن هذا الإيمان القلبي الذي هو أصل الإيمان إذا تمكن ورسخ في القلب أثمر الأعمال الصالحة ووجوده في القلب يستلزم وجود الأعمال الصالحة على الجوارح لأن الجوارح لا تتخلف عن مرادات القلوب ، فما كان عليه القلب يكون في الجوارح من خير أو شر ، من هداية أو ضلال من كفر أو إيمان ، فالجوارح تبع للقلب ، فهو لها بمثابة القائد ، وهي له بمثابة الجند السامع المطيع .

**قال رحمه الله تعالى :**

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ].

كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ فَسَّرُوا الْإِيمَانَ هُنَا بِالصَّلَاةِ إِلَى الْقِبْلَةِ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا -بَيْتِ الْمَقْدِسِ- قَبْلَ النَّسْخِ، حَيْثُ مَاتَ أَنَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ أَنْ تُنْقَلَ الْقِبْلَةُ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَحَصَلَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ اشْتِبَاهٌ فِي شَأْنِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ، وَذَلِكَ أَنَّ صَلَاتَهُمْ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، التَّزَامٌ مِنْهُمْ لِبَطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْإِيمَانُ.

**الشرح :**

هذه الآية الكريمة وهي قول الله عز وجل : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ من جملة الآيات الدالة على دخول العمل في مسمى الإيمان لأن الله عز وجل سمى الصلاة في هذه الآية إيماناً ، لأن المراد بقوله : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَنَكُمْ﴾ أي صلاتكم ، فمسمى الله سبحانه وتعالى الصلاة إيماناً ، وهذا من أصرح ما يكون على أن الأعمال داخله في مسمى الإيمان ، فالصلاة إيمان ، والصيام إيمان ، وحج بيت الله الحرام إيمان ، والزكاة إيمان ، بر الوالدين إيمان ، صلة الأرحام إيمان ، كل طاعة أمر الله سبحانه وتعالى بها فهي إيمان وداخله في مسمى الإيمان ، قال : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَنَكُمْ﴾ أي ليضيع صلاتكم .

قال : (كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ فَسَّرُوا الْإِيمَانَ هُنَا بِالصَّلَاةِ إِلَى الْقِبْلَةِ ) المراد بقوله : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَنَكُمْ﴾ أي صلاتكم التي صليتموها إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة ؛ لأنه لما حولت القبلة إلى الكعبة ، كان أناس من المسلمين ماتوا قبل التحويل ، كانوا أناس من المؤمنين ماتوا قبل تحويل القبلة ، فحصل عند بعض الصحابة اشتباه في شأنهم في تلك الصلوات التي كانوا يصلونها إلى بيت المقدس وماتوا قبل أن تحول القبلة ، فأنزل الله هذه الآية ، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَنَكُمْ﴾ \* لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

**الْآخِرِ**

البر هو أن يكون العبد مطيع لله ، أينما يوجه يتجه ، فأمرهم الله سبحانه وتعالى أول الأمر إلى الاتجاه إلى بيت المقدس فعملوا بذلك طاعة لله ، وهذه الطاعة إيمان ما يضيعها الله عليهم ، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَنَكُمْ﴾

ثم نسخ ذلك وحولت القبلة إلى الكعبة ، فأصبحت الصلاة إلى الكعبة ، والقبلة الكعبة ، وبعد تحويل الصلاة إلى الكعبة أصبح ذاك الذي كان إيماناً قبل تحويلها لا يحل لأحد أن يفعله بعد تحويل القبلة لا يجوز لأحد أن يصلي إلى جهة بيت المقدس ، وأن يستقبل بيت المقدس ، قبل النسخ كان إيماناً وبعد النسخ صار أمراً محرماً لا يحل للعبد أن يفعله فضلاً أن يكون داخلياً في الإيمان ، فقبل التحويل كان من الإيمان والله يقول : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾



لكن بعد التحويل ونسخ ذلك الحكم أصبح أمراً محرماً لا يحل لأحد أن يفعل ذلك لأنه حكمٌ نسخ وحولت القبلة إلى الكعبة ، فالشاهد من الآية لموضوعنا أن الأعمال الصالحة من الإيمان وداخلة في مسماه كما قال ربنا جل في علاه ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ أي صلاتكم.

#### قال رحمه الله تعالى :

وَهَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا بَشَارَةٌ كُبْرَى، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ إِيمَانَ الْمُؤْمِنِينَ، قَلَّ ذَلِكَ الْإِيمَانُ أَوْ كَثُرَ، كَمَا وَرَدَ فِي «الصَّحِيحِ»: «أَنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى مِثْقَالِ حَبَّةٍ خَرَدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ»

-----

#### الشرح:

يقول الشيخ رحمه الله أيضاً يؤخذ من الآية الكريمة فائدة أخرى في بيان شأن الإيمان وعظيم أمره ، وأن الإيمان وإن قل ، ما كان عند العبد من إيمان وإن قل فإن الله لا يضيعه ، لا يضيع الله عز وجل إيمان الشخص وإن قل ﴿وَمَا كَانَ

اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾

قوله (إيمانكم) يتناول ما وجد عند الشخص من إيمان وإن كان حظاً قليلاً ، ونصيباً يسيراً من الإيمان فإن الله لا يضيعه عليه ، ومن ذلك ما جاء في الحديث الصحيح «أَنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى مِثْقَالِ حَبَّةٍ خَرَدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ» حبة من خردل من إيمان ما يضيعها الله عليه ، فالإيمان وإن قل لا يضيعه الله ، الإيمان وإن قل فإن الله سبحانه وتعالى لا يضيعه لصاحبه ، فهذا أصل عظيم في بيان فضل الله سبحانه وتعالى ، وكمال منه جل في علاه لا يضيع إحسان المحسن وإن كان شيئاً قليلاً فإن الله يحفظه له ، ولا يضيعه .

#### قال رحمه الله تعالى :

وَبَشَارَةٌ لِكُلِّ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا قَصْدُهُ طَاعَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَهُوَ مُتَأَوَّلٌ أَوْ مُخْطِئٌ، أَوْ نُسِخَ ذَلِكَ الْعَمَلُ؛ فَإِنَّهُ إِنَّمَا عَمِلَ ذَلِكَ الْعَمَلِ إِيْمَانًا بِاللَّهِ، وَقَصْدًا لَطَاعَتِهِ، وَلَكِنَّهُ تَأَوَّلَ تَأْوِيلًا أَخْطَأَ فِيهِ، أَوْ أَخْطَأَ بِلَا تَأْوِيلٍ، فَخَطُّهُ مَغْفُورٌ عَنْهُ، وَأَجَرَ الْقَصْدِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى طَاعَتِهِ؛ لَا يُضِيعُهُ اللَّهُ .

#### الشرح :

لكن ينبه هنا إلى أن البدع المحدثه حتى وإن صحَّ قصد المرء فيها وصلحت نيته فإن هذا لا يشفع له في قبول العمل لأن العمل لا يقبل إلا بشرطين بالإخلاص لله سبحانه وتعالى وبالمتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم ، فمن جاء بنية صالحة صحيحة لكنه افتقد في عمله الإتياع فإن شأن هذا العمل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم [ من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد ] أي مردودٌ على صاحبه غير مقبول منه .

والسنة فيها شواهد ودلائل كثيرة على ذلك ، ومن ذلكم أن أحد الصحابة في يوم عيد الأضحى رأى وفعل أيضاً أن يذبح أضحيته قبل الصلاة بنية طيبة ، ذبح أضحيته قبل صلاة العيد وكانت نيته طيبة ، ما هي ؟ لا يأتي الناس بعد الصلاة إلا وتكون جاهزة ومهيئة ومطبوخة ويكون أول من يطعم من لحم أضحيته ، فذبحها قبل الصلاة وشرعوا في تهيتها بحيث لا تنتهي الصلاة إلا وهي مهيئة ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : [ شاتك شاة لحم ] أي ليست أضحية ، هذه ليست أضحية لأنها تقدمت على الوقت ، وإن كان تقدمها على الوقت بنية طيبة ، فنيته الطيبة لم تشفع له بقبول عمله فقال له : [ شاتك شاة لحم ] أي ليست أضحية ، ليست أضحية لأنه قدمها على الوقت ، وكان تقديمه لها على الوقت النية فيه طيبة ، تأول تأولاً طيباً ، وكانت نيته نية طيبة ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم له [ شاتك شاة لحم ] فلم يشفع له حسن نيته في قبول أضحيته ، فمن شرط قبول العمل المتابعة ، فكما أن العمل لا يقبل إلا بالإخلاص فهو كذلك لا يقبل إلا بالإتياع ، وهذا معنى قول الله عز وجل ﴿ لِيُبْلِغُكُمْ إِلَىٰ كَرَامَاتِكُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾

قال الحسن البصري رحمه الله : أخلصه وأصوبه . قيل : يا أبا علي وما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً ، والخالص ما كان لله ، والصواب ما كان على السنة .

#### قال رحمه الله تعالى :

وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، قَالَ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ: «قَدْ فَعَلْتُ» وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَحَكَمَ، فَأَصَابَ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا اجْتَهَدَ، فَأَخْطَأَ، فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ». وَخَطْوُهُ مَغْفُورٌ لَهُ.

الشرح :

قال : (لِهَذَا قَالَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ) لأن في الآية التي قبل هذه الآية قال : ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ ﴾

وذكر من صفات هؤلاء المؤمنين دعائهم الله جل وعلا ، وإلحاحهم عليه وتوجههم بالسؤال إليه ، ربنا لا تؤاخذنا ومن ذلكم ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ قال الله كما في الحديث الصحيح «قَدْ فَعَلْتُ» أي استجبت لكم هذه الدعوات فهي دعوات مستجابات ، ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ قال الله جل وعلا «قَدْ فَعَلْتُ» وبهذا

المعنى ما جاء في الحديث عن نبينا عليه الصلاة والسلام : [ إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ] قال : وفي الحديث الصحيح : « إِذَا اجْتَهِدَ الْحَاكِمُ فَحَكَمَ ، فَأَصَابَ ، فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَإِذَا اجْتَهِدَ ، فَأَخْطَأَ ، فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ » . وَخَطْوُهُ مَغْفُورٌ لَهُ .

**قال رحمه الله تعالى :**

وَكَذَلِكَ مَنْ نَوَى عَمَلًا صَالِحًا ، وَحَرَصَ عَلَى فِعْلِهِ ، وَمَنَعَهُ مَانِعٌ - مِنْ مَرَضٍ ، أَوْ سَفَرٍ ، أَوْ عَجْزٍ ، أَوْ غَيْرِهَا - كُتِبَ لَهُ مَا نَوَاهُ مِنْ ذَلِكَ الْعَمَلِ ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى مَرْفُوعًا : «مَنْ مَرَضَ أَوْ سَافَرَ؛ كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ صَحِيحًا مُقِيمًا» . وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مَنْ أَقْعَدَهُ الْكِبَرُ عَنْ عَمَلِهِ الْمُعْتَادِ .

**الشرح :**

قال : (وَكَذَلِكَ) أي مما يدخل في عموم قوله : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَنَكُمْ﴾

أن (مَنْ نَوَى عَمَلًا صَالِحًا) ، (مَنْ نَوَى) وجدت منه نية صادقة للقيام بعمل صالح ، (وَحَرَصَ عَلَى فِعْلِهِ) نوى ذلك العمل الصالح وحرص على فعله (وَمَنَعَهُ مَانِعٌ - مِنْ مَرَضٍ ، أَوْ سَفَرٍ ، أَوْ عَجْزٍ ، أَوْ غَيْرِهَا - كُتِبَ لَهُ مَا نَوَاهُ مِنْ ذَلِكَ الْعَمَلِ) ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى مَرْفُوعًا : «مَنْ مَرَضَ أَوْ سَافَرَ؛ كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ صَحِيحًا مُقِيمًا»

فإذا مرض العبد وكان من عادته أن يصوم الاثنين والخميس ، ومن عادته يقوم الليل ، ومن عادته يصلي الضحى ومن عادته يبكر للمساجد ، ومن عادته يقرأ حزباً من القرآن إلى غير ذلك من الأعمال الصالحة ، ثم أصابه مرض فلم يتمكن من هذه الأعمال التي منعه منها وجود هذا المرض ، لم يتمكن من هذه الأعمال بسبب وجود هذا المرض الذي أصابه فإنها تكتب له ، ولهذا بعض الصالحين بعض العباد في آخر عمره يصاب بمرض يقعه ، بعضهم يقعه المرض سنتين أو ثلاث أو أربع أو خمس أو عشر أحياناً أو أكثر ، وهو على فراشه يكتب له قيام ليل في كل ليلة ، ويكتب له الصيام في كل يوم كان يصومه ، يكتب له قراءة القرآن ، كل ما كان يعمل قبل أن يقعه المرض يكتب له مادام أن الذي حال بينه وبين فعل ذلك هو المرض يكتب له ذلك ، مثله كذلك إذا سافر ومن عادته يقوم بهذه الأعمال ومشقة السفر وجهد السفر حال بينه وبين هذه الأعمال فإنها أيضاً تكتب له كما أنه لو فعلها وهذا فضل الله سبحانه

وتعالى وهو داخل في عموم قول الله عز وجل : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَنَكُمْ﴾

قال : (وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مَنْ أَقْعَدَهُ الْكِبَرُ) أي كبر السن (عَنْ عَمَلِهِ الْمُعْتَادِ) .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك .

اللهم صلي وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .